

## دور الحجّ في تحقيق القيادة الموحّدة

عباس علي عميد الزنجاني

بينه وبين أصل التوحيد؛ لأننا أن نفهم الأبعاد الواسعة لفلسفة الحج والأسرار العميقة، التي تنطوي عليها هذه العبادة الجماعية، وبالتالي أن نتعرّف على مكانة الحج ودوره الكبير في تمهيد القدرات على صعيد تجسيد الإسلام وتحقيق أهدافه السامية، وأن تنير الوعي الجديد الإسلامي في الجيل المسلم الذي تحول إلى حركة ثورية إسلامية، جعلت العالم يتطلّع إلى الإسلام كموقع جديد من مواقع الثورة وكحركة رائدة من أجل تفسير المبادلات

قال الله الحكيم: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾<sup>(١)</sup>. إنّ عبادة الحجّ قادرة على أن تؤدّي الدور الكبير على صعيد التوعية والتوجيه الديني، وتوطيد عرى التلاحم بين أبناء أمّتنا الإسلامية؛ ولأجل ذلك لقد أُعطي للحج مكانة خاصّة في الشريعة الإسلامية بين سائر الأحكام والفرائض، ولو ألقينا نظرة واسعة على موقفه ومدى اهتمام القرآن والسنة بهذه الفريضة الكبرى وجذوره التاريخية، والعلاقة الوطيدة المتشابكة

يحتويه قوله ﷺ : لو أنفقت جبل قبيس ذهباً في سبيل الله ما أدركت فضيلة الحج<sup>(٢)</sup>.

وما يعنيه قول الإمام الصادق ﷺ : لا تماثل الحج عبادة. وحديث عليّ ﷺ يؤكّد عن عاقبة ترك الأُمَّة للحجّ، قال ﷺ : لا تتركوا حجّ بيت ربّكم فتهلكوا<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث آخر يحذّر المسلمين وقادتهم من ترك الحجّ، ويرى أن ذلك يؤدي إلى سقوط شخصية الأُمَّة وزوال عزّها وشرفها وسيادتها أمام الأجنبيّ، قال ﷺ:

الله في بيت ربّكم لا تخلوه ما بقيتم فإنّه إن ترك لم تناظروا<sup>(٤)</sup>.

والإمام الصادق ﷺ يبيّن هذه الحقيقة بتعبير آخر ويقول:

أما أن الناس لو تركوا حجّ هذا البيت لنزل بهم العذاب وما نواظروا؟!<sup>(٥)</sup>.

ولاشك أن ترك الحجّ على قسمين: إمّا أن يترك العمل فلا يحجّ أحد، أو يحجّ بصورة شكلية غير ذات محتوى.

هذه الأخيرة هي التي أبتلي بها العالم الإسلامي اليوم، فبالتالي نزل بهم

السياسية المعاصرة كقوّة جديدة تستطيع أن تقضي على جميع القوى الشريرة شرقها وغربها في العالم.

حين نتعرّف على هذه المكانة للحجّ والفلسفة الكامنة فيه وسائر أهداف الشريعة الإسلامية من هذه الفريضة الكبيرة، فسوف لا نسمح لأنفسنا أن نكتفي بأداء مراسيم شكلية وأعمال خاوية غير ذات محتوى، وأن نشهد كلّ عام إهدار كلّ هذه القوى والإمكانات ونمكث جالسين دون أن نستثمر المعطيات الحياتية العظيمة للحجّ.

نحن نتابع التحقيق في هذه المعطيات وفي الوقت نفسه نوّمن أن الحجّ وسائر الفرائض الإلهية أمر تعبدي ونلزم أنفسنا بالامتثال المطلق لها، وهذه الدراسة لا تضعف روح التعبّد بل تتّجه إلى تقويتها.

لا شك أن مناسك الحجّ وأحكامه لها أشكال تعبدية ثابتة لا تقبل التغيير، فكلّ تغيير وتصرف في الشكل الظاهري لمناسك الحجّ وأعماله بحجّة التفلسف وتحقيق الأهداف والأسرار مرفوض.

لكن مع ذلك هلاً يلزمنا التعريف بما

سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾<sup>(٨)</sup>.

تتضمّن عدّة مفاهيم سياسية بارزة يلزمنا التعرّف عليها في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية والحكم الإسلامي الموحد في العالم الإسلامي.

لاشك أن مثل هذا الشعور له القدرة على توحيد صفوف المسلمين وعلى تنظيم شؤونهم الحياتية وإعدادهم لتحطيم كلّ الأغلال السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تكبلهم.

**عنصر الأمل في التحرك السياسي**  
التحريك السياسي مهما كان لونه وطبيعته واتجاهه يحتاج إلى عنصر الأمل كي يدفعه نحو غاياته المرجوة، والحجّاج الذين يقضون خلال موسم الحج دورة إعداد لتأهيلهم على الحركة السياسية في مجتمعاتهم يبيتون ليل في أرض الآمال (منى) حيث قيل لإبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم تمنّ على ربك ما شئت؛ ولذلك سمّيت هذه الأرض (منى)<sup>(٩)</sup>. إنّ عنصر الأمل من خصائص الأمة الإسلامية يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ

العذاب ألا وهو الأسر السياسي والاقتصادي وسقوط شخصية الأمة وزوال سيادتها. هذه الأحاديث - وما أكثر عددها - تدعو إلى التأمل وتشير إلى أنّ الحج مدرسة لتخريج رجال أكفاء مع الغزاة في سبيل الله، كما قال رسول الله ﷺ: الغازي في سبيل الله والحاج وفود الله دعاهم<sup>(٦)</sup>.

### الحجّ عامل قيام الأمة

انطلاقاً من قوله سبحانه وتعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾<sup>(٧)</sup> نستطيع أن نستدلّ على أن الحج له دور عظيم في تمهيد الطريق إلى قيام الأمة وإعطائها القدرة كي تحصل على استقلالها وسيادتها وتحقيق أهداف الإسلام.

لأن كلمة القيام تنطوي على الوجود والاستقلال والحركة والسيادة والشخصية والاتجاه والتنظيم ووحدة المسير والمساهمة الجادة والاعتدال على الذات وعدم التبعية، وكل المفاهيم السياسية المعاصرة للأمة لإيجاد الكيان الإسلامي الموحد في العالم.

كما أنّ كلمة المثابة والأمن في قوله

القوم إن تكونوا تآلمون فإيَّهم يألمون كما تآلمون وترجون من الله



الحج القرآن الكريم يُطلق اسم الأمة ودينه ومن أنكره أنكر الله ودينه... فلذلك إن معرفة الرجال دين الله كما ان الأحكام

عليه بدايةً لزوال الشرك في الجزيرة العربية، وإيداناً بتزلزل عروش الكفر والشرك في كل العالم.

فإذن ماذا يفعل حجّنا اليوم؟  
هل يحرك ساكناً؟  
هل يتخذ مظلوماً؟

هل يجيب دعوة المستضعفين في لبنان وفلسطين وأفغانستان والفلبين وفي معارك التضحية والإيثار في إيران الإسلام؟

هل يؤدّي الحجّ اليوم دوره في التوعية، وفي تركيز التناف الأُمّة الإسلامية حول قيادتها الموحّدة؟ وهل نستطيع مع كلّ هذا أن ندعي بأنّ حجّنا اليوم يقوم على أساس القرآن والسنة؟  
ما هو معنى الجدل المحظور في الحجّ؟

لاشك في أن أعداء الإسلام ما كان بمقدورهم أن يقضوا على ظاهرة الحجّ نهائياً بين المسلمين، فعمدوا إلى إفراغها من محتواها ومن مبدأ البراءة، لتفقد عطائها التغييري الفاعل، بل ولتكون أكثر من ذلك وسيلة بيد الطغاة؛ لتعميق غفلة المسلمين ولتعميق انفصال الدين

كلمة أنّما تعرف بالنبوي ﷺ.. وإنما هذه الرجل (١٣).

فالإمام ضالة المؤمن في الحج فيستمد القوة من مناسك الحج ليضع كلّ إمكاناته تحت تصرّف القائد الذي سوف يجده حينما يسلك في الحج سلوك أُمّة تحت قيادة إمامها.

كما كان المسلمون يلتقون حول الرسول صلوات الله عليه في حجة الوداع كالتفاف السوار بالمعصم ويسيرون خلفه مقتدين آثاره.

وهذا اللون من الحركة في موسم الحج يؤكّد دور القيادة في هذا الموسم، وبغير وجود القيادة فإنّ الحجّ افراد مبثرون لا يجمعهم محور ولا يشدّهم رباط، وهم غثاء كغثاء السيل لا يتجه اتجاهاً واعياً مدروساً كما أراد الله سبحانه وتعالى.

### حجّة الإسلام وحجّنا

لقد كانت صيحة الله أكبر وحدها في صدر الإسلام تبعث الرعب والفرع في قلوب أعداء الله، فما بالك بصلاة الجماعة والجمعة بل ما بالك بالحجّ؟

لقد كان حجّ رسول الله صلوات الله

عن ساحة الحياة الاجتماعية .

والمرحلة الحساسة من مؤامرة الاستكبار والطواغيت تتمثل في البحث عن الصيغة الفقهية، التي تحوّل مراكز اليقظة إلى مراكز غفلة .

وما هذا بعسير فقد كان دوماً في خدمة الظالمين فئة تشتري بآيات الله ثمناً قليلاً فتحرف الكلم عن مواضعه لتضلّ الناس:

﴿يحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾<sup>(١٤)</sup> آخر ما أفرزته عقول المحاربين للصحة الإسلامية المباركة المتجلية في موسم الحج يتمثل في طرح خطر الجدل في الحجّ مستنديين إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا جدال في الحجّ﴾<sup>(١٥)</sup> متخذين قول الله وسيلة لإخماد الأصوات الإلهية المطالبة بالعودة إلى حج رسول الله صلوات الله عليه في الشكل والمحتوى .

وهكذا تتكرّر تجربة ضربة الدين بالدين لإفراغ الدين من محتواه وللقضاء على كل صحة وتحرك

إسلامي أصيل .

ولاشك في أن الجدل المحظور في الحج هو الجدل الخاص<sup>(١٦)</sup> أو المنازعة، أو ما يوجب الخصومة والبغضاء بين المؤمنين . كيف، والجدال في الدين يعتبر طاعة وسبيلاً إلى معرفة الله؟ فالجدال في الحجّ ضمّ طاعة إلى طاعة فكان أولى بالترغيب فيه<sup>(١٧)</sup> .

فإذن الجدل المحظور في الحج هو الجدل الذي يثير العداة بين المسلمين، وكلّنا نعلم أن هذه الحركة المقدّسة العبادية السياسية التي تحدث في أيام الحج بركة صحة الشعوب المسلمة وبفضل انتشار الوعي الإسلامي لا تثير أي عداة بين المسلمين .

نعم قد تجرّ إلى العداة، ولكن ينبغي أن نعرف الجانب الآخر من هذه المعاداة، هل هي معاداة بين المسلمين أم معاداة بين أبناء الأمة من جهة وبين السلطويين المستعمرين الغزاة وكلّ أعداء الإسلام من جهة أخرى؟

كيف، وهذه المعاداة من أهداف الإسلام وغاياته وليست حراماً، بل

**الحرم يتعلّق بجميع المسلمين**  
ان الله سبحانه وتعالى جعل الحرم  
وبيته للناس ليعبدوا الله فيه، وقد قال  
سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي  
جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سِوَاءِ الْعَاكِفِ فِيهِ  
وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ نَذَقَهُ مِنْ  
عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢١).

إنّ الكثير من المفسّرين يعتبرون أنّ  
حكم العموم الوارد في هذه الآية  
بخصوص المسجد الحرام يشمل أيضاً  
جميع منطقة الحرم، وذلك لأنّ المشركين  
كانوا قد منعوا الرسول صلوات الله  
عليه والمسلمين من الدخول إلى الحرم  
فضلاً عن منعهم من المسجد الحرام (٢٢).  
فقدسية الحرم وتعظيمه واحترامه  
وخدمته لا ينحصر بشخص أو جماعة  
خاصة، بل إنّ هذا الحق يعبر عن  
حقيقة عبادة الحج والعمرة ويتعلّق  
بالعالم الإسلامي، وجميع المسلمين  
متساوون في تمتّعهم بهذا الحق.

لاشك أنّ مفهوم هذه الآية هو  
إخراج الحرم من احتكار مجموعة أو  
مذهب معيّن، كما أنّ مفهوم سواء

من واجبات الإسلام، قال سبحانه  
وتعالى: ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ (١٨)  
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ  
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (١٩)  
﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا  
الطَّاغُوتِ﴾ (٢٠)؟

نحن أيضاً نؤمن بضرورة السيطرة  
على جوانب الحج، ولا نريد إيجاد جوّ  
مفتوح مضطرب مليء بالارتباك  
والفوضى، ونلتزم بضرورة الوقوف  
بوجه العناصر الفاسدة المرتبطة  
بالسياسات الشرقية والغربية، التي  
تريد أن تستغل اجتماع الحج العظيم  
لإثارة الحزازات وإلقاء الشبهات وخلق  
الفوضى والمشاكل.

لكن نحن وإخواننا من شتّى  
الشعوب الإسلامية خلال تجربتنا قبل  
انتصار الثورة الإسلامية في إيران  
وخلاها وبعد انتصارها اكتسبنا اسلوباً  
ناجحاً ضمن إطار متعلّق ملتزم بتعاليم  
الشريعة وآدابها، وبهذا الاسلوب  
نستطيع أن نواجه الانحراف في كلّ  
شؤون حياتنا وعباداتنا بما في ذلك  
أداؤنا لمناسك الحجّ.

مفتوحة على مصراعها بوجه الزائر  
في صدر الإسلام.

العاكف فيه والباد هو تساوي الناس  
الموحدون والذين يعبدون الله في هذه



الإمام إلى حاكم مكة؛ طلب منه أن  
يدعو أهل مكة إلى عدم أخذ الأجور

لها أن يتخذ منزلاً من أية زاوية منها،  
ولقد كانت بيوت مدينة مكة المكرمة



الهدف الأساسي لهذه المؤامرات القضاء على قيادة علماء الإسلام وإخماد الثورة الإسلامية وضربها في مركز انتصارها؛ كي لا تحصل تلك اليقظة لدى بقية الشعوب والدول الإسلامية كما حصلت لإيران بقيادة سماحة الإمام الخميني، والتي أدت إلى طرد القوى العظمى والتخلّص من هيمنتها في هذا القطر الإسلامي.

لقد أعلن الإمام الخميني عليه السلام زعيم الثورة الإسلامية ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران في لقاء مع ممثلي الدول الإسلامية بمناسبة عيد الأضحى بهذا الصدد وقال:

إننا عندما نقول: إن الثورة يجب أن تصدر إلى كل مكان، لا ينبغي لكم تأويل ذلك على أننا نريد فتح الدول. إن المقصود من تصدير الثورة هو أن يحصل نفس الشيء الذي حصل في إيران من طرد القوى الاستكبارية والتخلّص من هيمنتها في بقية الأقطار الإسلامية.

من الساكنين فيها، وقد استند الإمام في هذا الأمر إلى ما جاء في الآية المباركة: ﴿سِوَاءِ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ فقد أوضح الإمام ذلك قائلاً: «العاكف هو المقيم في مكة، والباد هو الوافد إلى مكة لأجل الحج، ولا يحسب من أهلها» (٢٥).

إن مسألة جعل مكة والحرم حرّاً وعالمياً للمسلمين لا تكتسب أهمية من الناحية الاقتصادية فحسب، بل إن جوهر هذا الأمر وهدفه الرئيس هو حفظ هذه المنطقة المقدّسة التي وضعت للعبادة من أي نوع من الضغوط أو فرض الآراء، وخلق المضايقات المختلفة الهادفة إلى تجريدتها من العبودية الصحيحة.

إن الصحوّة المباركة التي نشاهدها اليوم في أنحاء العالم الإسلامي ولا تزال تتزايد يوماً بعد يوم هي التي يعتبرها الاستكبار الأمريكي وأذناؤه خطراً إرهابياً في العالم.

وقد مارس المؤامرات المتنوّعة الشيطانية للقضاء عليها، وقد كان

### الهوامش :

- (١) المائدة: ٩٧.
- (٢) وسائل الشيعة ٨: ٧٩.
- (٣) ثواب الأعمال للصدوق: ٢١٢.
- (٤) نهج البلاغة، محمد عبده: ٥١١.
- (٥) علل الشرائع للصدوق، نقلاً عن بحار الأنوار ٩٩: ١٩.
- (٦) سنن ابن ماجة. المناسك. ٥ والنسائي. الحج: ٤.
- (٧) المائدة: ٩٧.
- (٨) البقرة: ١٢٥.
- (٩) علل الشرائع ٢: ١٢٠.
- (١٠) النساء: ١٠٤.
- (١١) صحيح البخاري، كتاب الحج: ٤٧٠.
- (١٢) الأنبياء: ٩٢.
- (١٣) مرآة الأنوار: ١٣.
- (١٤) النحل: ٢٥.
- (١٥) البقرة: ١٩٧.
- (١٦) أكثر فقهاء الشيعة على أن الشارع اعتبر صيغة خاصة في تحقيق الجدل الموجب للحرمة وهي قول لا والله وبلى والله.
- (١٧) التفسير الكبير للفخر الرازي ٥: ١٦٤-١٦٧.
- (١٨) النساء: ٦٠.
- (١٩) البقرة: ٢٥٦.
- (٢٠) النحل: ٣٦.
- (٢١) الحج: ٢٥.
- (٢٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٢: ٣٢ وتفسير التبيان ٧: ٣٠٥ استدل الشيخ الطوسي عليه السلام بإطلاق المسجد الحرام في آية ﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ على مكة حيث كانت مكة منطلقاً...

(٢٣) الحج: ٢٥.

(٢٤) سنن البيهقي ٦: ٣٥، وجامع الصغير للسيوطي ٦: ٣.

(٢٥) نهج البلاغة الرسالة ٦٧ «مر أهل مكة ألا يأخذوا من ساكن أجراً، فإن الله سبحانه وتعالى يقول:  
﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ فالعاكف المقيم به، والباد الذي يحجّ إليه من غير أهله.